جامعة تكريت / كلية التربية للبنات

قسم الجغرافية / المرحلة الرابعة

المادة: الجغرافية السياسية

أستاذ المادة:ا.م.د .عادل طه شلال

الايميل : adel.taha@tu.edu.iq

الجيوبولتيكا والجغرافيا السياسية

ترجع الجذور التاريخية للأفكار الجيوبولتيكية إلى الحضارات القديمة، فقد ورد في أفكار الفلاسفة الإغريق ما يشير إلى وجود فكر جيوبولتيكي فقد ذكر ارسطو في كتاب السياسة (٣٤٨ ق.م - ٣٢٢ق.م) ان موقع اليونان في الإقليم المناخي المعتدل قد مكن الإغريق من بلوغ السيادة العالمية على شعوب الشمال البارد والجنوب الحار كما ان سترا (٦٣ق.م - ٢٤ ق.م) اطلع على توسع الإمبراطورية الرومانية وقد أوضح ان موقع الدول المفضل هو المكان المتسم بالمناخ المعتدل وتتوفر فيه الموارد الطبيعية. وكان سترابو قد أشار إلى ان القوى العالمية مركزة في الأقاليم القارية الكبيرة وليست الهوامش البحرية. وان أوربا هي مركز هذه القوى. ويرى ان الجزء المعمور من العالم يتكون من أوربا وليبيا واسيا. وان أوربا أكثرهم ملائمة للنمو والازدهار البشري وكان سترابو أول من أشار إلى العالم ذي الأهمية الذي حدده بامتداد من جبل طارق (أعمدة هرقل) إلى خليج البنغال (خليج المحيط الشرقي) ومن ايرلندا (أيرنا) إلى سريلانكا (سينامسون).

وقد أشار هيو قراط إلى ان الاسيويين اقل حباً للحرب من الأوربيين وربط ذلك بطبيعة المناخ لاسيما انخفاض المدى الحراري لهذه القارة. وقد حاول بودان

(١٥٧٦-١٥٣٠م) ان يثبت في كتابه الجمهورية أن شكل الجمهورية ينبغي أن ينسجم مع الأخلاق البشرية التي تتأثر بالمناخ والتضاريس وعليه يقتضي أن يتباين

تركيب الدول السياسي وقوانينها من مكان لآخر.

وقد أكد مونتسكيو (١٦٨٩-١٧٥٥م) في كتابه روح القوانين على تأثير التربة والمناخ بسلوك الإنسان وخصائص أنظمة الحكم. أن المناطق الباردة طبقاً

لآرائه مرتع الحرية السياسية والشجاعة في حين أن المناطق الدافئة تؤدي إلى الخمول

والعبودية كما أن إقليم السهول تكون مراكز الإمبراطوريات الواسعة في حين أن الأقاليم الجبلية تشجع شعور الحرية والاستقلال

وما تقدم لا يعني الصحة المطلقة لتلك الاراء طالما ان هناك قدرات خلاقة للانسان تمكن من خلالها من احداث تغييرات جوهرية في بيئات تواجده على

مستويات الانتاج والخدمات بسواء وانعكاسات ذلك على شكل الوحدة السياسية وتركيبها

كما ينبغي ان نتذكر ان العديد من تلك الافكار التي تعمد إلى ربط سلوك الإنسان السياسي وغيره ببيئته الطبيعية لا يمكن التعامل معها بمعزل عن الأهداف

العليا لروادها والتي لا تخلو من بذور أفكار استعمارية قد يقصد بها تكريس تواجد ابناء البيئات المعتدلة خاصة الأوربيين منها في العديد من مناطق العالم بصيغ استيطانية أو اقتصادية أو ثقافية أو سياسية وغيرها.

وعموماً فإن التحليل الجيوبولتيكي يقع في مسارين.

الأول: وصف العلاقة بين الوضع الجغرافي والقوى السياسية.

الثاني: رسم الإطار المكاني للقوى السياسية.

غير أن تطبيق هذين المسارين حالياً لم يعد أمراً ميسوراً في التحليل الجيوبولتيكي لتعاظم التداخل في الأطوار المكانية للقوى والتكتلات الدولية الحالية.

فالحدود الفاصلة بين الكتلتين الشرقية والغربية في أوربا خلال الخمسينات كانت ماثلة للعيان بشكل بارز تمثلت بحدود فاصلة بين ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية وغيرهما لكن في ثمانينات هذا القرن لا نجد مثل هذا الفصل واضحاً نتيجة للتقارب بين دولتي ألمانيا وتوقيع المعاهدات بينهما. التي انتهت إلى ميلاد دولة ألمانيا الموحدة بعد هدم جدار برلين ١٩٩٠ ،وعليه، فانه ليس من اليسير رصد التفاعل السياسي حالياً بين الإطارات المكانية بصورة سريعة مما يقتضي من جيوبولتيكي القرن الحالي الحادي والعشرين التأمل والحذر قبل إصدار الأحكام في التحليل الجغرافي السياسي لموضوعات البحث لأنه لم تعد لمناطق القلوب السياسي المتناثرة والعديدة وجود كما كانت في ظل الحضارات القديمة: في العراق ومصر وقرطاجة وروما وبيزنطة والقاهرة والاستانة واسبانيا والبرتغال وفرنسا وإنكلترا هولندا وألمانيا وغيرهم. ولا غدى لمناطق العالم ذي الأهمية كما كان عليه الحال في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وجود في أوربا الغربية والوسطى بين دائرتي عرض ٣٠-٦٠ شمالاً نتيجة لبروز الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في حينه على مسرح

الأحداث. كما أن عالمنا المعاصر يشهد بين أحضانه حالياً بوادر ظهور لقوى جيوبولتيكية جديدة وهذه القوى قد تكون في الصين وأوربا الغربية وشبه القارة الهندية

وتعني كلمة جيوبولتيك بمفهومها الألماني الدولة والسياسة (سياسة الأرض) أو الكرة الأرضية. فالكلمة جيوبولتيك بالألمانية Geopolitik مكونة من مقطعين Geo بمعنى الأرض و politik تعني السياسية. وإذا كان ما تقدم يمثل معناها الحرفي فان المقصود بها علمياً هو السياسة الجغرافية أو سياسة المكان كما تسمى. إن جوهر الجيوبولتيك هو دراسة جغرافية العلاقات السياسية الدولية في ضوء الأوضاع والتركيب الجغرافي وقد جاء في تعريف جيوبولتيك أنها النظرية التي تبحث في قوة الدولة بالنسبة للأرض، أو هي نظرية التطورات السياسية من حيث علاقتها بالأرض. أو هو العلم الذي يبحث في المنظمات السياسية للمجال الأرضي وتكوينها. أو هي الأساس العلمي الذي يقوم عليه أن العمل السياسي للدولة في كفاحها المميت من اجل حصولها على مجالها الحيوي

وعليه فان الجيوبولتيك يختص بدراسة الدولة من الوجهة السياسية ولكن لا ينظر للدول كمفهوم ثابت بل ككائن حي دينامي استناداً إلى نظرية راتزل. وتدرس الجيوبولتيكا العلاقات المكانية المتبادلة بين المنظر الطبيعي (الأرض) والمنظر البشري (السكان) والمنظر الحضاري المهارات والتقنية ذلك من وجهة نظر قومية وذاتية. وتبحث في مفاهيم أبعاد السوق من وجهة نظر خاصة ألا وهي فلسفة القوة. وان الضرورة لا تعرف قانوناً وتستخدم التاريخ القومي لخدمة تلك

الأهداف

وتركز الجيوبولتيكا اهتماماً على مطالب الدولة من حيث المساحة. وقد وجد أن هناك خمسة عناصر في رأي الجيوبولتيكا بالنسبة المساحة الدولة. وهذه العناصر هي الاكتفاء الذاتي والمجال الحيوي والفكرة الإقليمية والصراع بين قوة

همة اليابسة والماء والحدود السياسية. وتهم الجيبوتيكا بالوضع في المستقبل. إذ ترمة صورة لما يجب أن تكون عليه الدولة في حين أن الجغرافية السياسية تدرس الكيان القائم لدولة كما هو فعلاً. فالفرق بينهما هو الفرق بين التحليل الموضوعي للحقائق الجغرافية (الجغرافية السياسية) وبين التفقيه الانتقائي والتثقيف (الجيوبولتيكا).

وقد يبدو أن الجيوبولتيكا أوسع من علم السوق لأنه يدرس المرافق السياسية في ضوء البيئة الجغرافية. ثم يضع الأهداف السوقية والجيو إستراتيجية الأهداف المكانية). ثم يوصي بالوسائل التعبوية) ويضع الملامح المستقبلية للأهداف المنتظرة. فالجيوبولتيكا أشبه ما تكون بالضمير الجغرافي للدولة. فهو يوصي بما ينبغي عمله سياسياً لصالح الدولة. وقد يؤخذ على مفهوم هذا العلم بأنه الصورة المنحازة عن الواقع الجغرافي لأي إقليم سياسي في العالم. وفي ذلك ما يبرره تاريخياً. فالألمان (الحزب الوطني الاشتراكي اعتمدوا بدرجة كبيرة على أساسيات هذا العلم من أجل تحقيق أهدافهم القومية الذاتية. من هنا كانت البداية لتشويه

هذا العلم وإبعاده عن أهدافه الأساسية

وفي المقابل فقد ظهر من ينظر إلى هذا العلم على أنه أداة تحليلية لتقويم الوزن السياسي والعسكري للدولة بشكل موضوعي يعتمد حقائق الجغرافية السياسية وبمنهج موضوعي بعيداً عن الذات. أي انه يحاول أن يتلمس الحاسة السياسية المكانية في عناصر البيئة الطبيعية والبشرية بشكل موضوعي. لتحديد وزن نسبي لكل عنصر من تلك العناصر بما يمكن من تحديد الوزن الجيوبولتيكي للإقليم المراد دراسته بالتالي ليس صورة حالية فحسب بل كملامح مستقبلية أيضا. تتمثل في تحديد أبعاد عليا من خلال ما تتيحه عناصر البيئة من أهداف بشرية ومكانية سوقية وسوقية عالمية.